كتاب التوحيد

وقول الله تعالى: {وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ} [الذاريات: 56].

س : مـا هو موضوع كتاب التوحيد ؟

ج : موضوع هذا الكتاب: بيان التوحيد الذي أوجبه الله على عباده، وخلَقهم لأجله وبيان ما ينافيه من الشرك الأكبر، أو ينافي كماله الواجب أو المستحب من الشرك الأصغر والبدع.

س : مـا معنى كتاب ؟

ج : مصدر كَتَبَ بمعنى جمع، والكتابة بالقلم جمع الحروف والكلمات.

س : مـا هو التوحيد ؟

ج : التوحيد مصدرُ وحّده، أي جعله واحداً والمراد به هنا: إفراد الله بالعبادة.

س : مـا معنى الخلق ؟

ج : الخَلْقُ في كلام العرب ابتداع الشيء على مثال لم يُسبَق إليه.

س : من هم الجن ؟

ج : هم عالم غيبي مخفي عنا، ولهذا جاءت المادة من الجيم والنون، وهما يدلان على الخفاء والاستتار ومنه: الجَنة، والجِنة، والجُنَّة.

س : من هم الإنس ؟

ج : سموا بذلك، لأنهم لا يعيشون بدون إيناس، فهم يأنس بعضهم ببعض، ويتحرك بعضهم إلى بعض.

س : مـا تعريف العبادة في اللغة ؟

ج : التذلّل والخضوع.

س : مـا تعريف العبادة شرعا ؟

ج : اسمٌ جامعٌ لما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال الظاهرة والباطنة.

س : مـا هو المعنى الإجمالي للآية ؟

ج : أن الله تعالى أخبر أنه ما خلق الإنس والجن إلا لعبادته، فهي بيانٌ للحكمة في خلقهم، فلم يرد منهم ما تريده السادة من عبيدها من الإعانة لهم بالرزق والإطعام، وإنما أراد المصلحة لهم.

س : مـا الحكمة من خلق الجن والإنس ؟

ج : الحكمة هي عبادة الله، لا أن يتمتعوا بالمآكل والمشارب والمناكح.

س : مـا مناسبة الآية للباب ؟

ج : أنها تدل على وجوب التوحيد، الذي هو إفراد الله بالعبادة. لأنه ما خُلق الجن والإنس إلا لأجل ذلك.

س : مـا يستفاد من الآية ؟

ج : مـا يـأتي :

1- وجوب إفراد الله بالعبادة على جميع الثّقلين؛ الجن والإنس.

2- بيان الحكمة من خلق الجن والإنس

3- أن الخالق هو الذي يستحق العبادة دون غيره ممن لا يخلُق، ففي هذا ردٌّ على عُبّاد الأصنام

4- بيان غنى الله سبحانه وتعالى عن خلقه وحاجة الخلق إليه، لأنه هو الخالق، وهم مخلوقون

5- إثبات الحكمة في أفعال الله سبحانه.

وقوله: {وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولاً أَنِ اعْبُدُواْ اللهَ وَاجْتَنِبُواْ الطَّاغُوتَ} [النحل: 36].

س : مـا معنى بعثْنا ؟

ج : أخرجنا، وأرسلنا في كل أمة.

س : مـا معنى في كل أمّة ؟

ج : كل طائفةٍ وقرنٍ وجيلٍ من الناس.

س : مـا هي معاني الأمة ؟

ج : قال الإمـام العثيمين : تطلق الأمة في القرآن على أربعة معان.

1- الطائفة: كما في هذه الآية.

2- الإمام، ومنه قوله تعالى: {إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتاً لِلَّهِ}.

3- الملة: ومنه قوله تعالى: {إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ}.

4- الزمن: ومنه قوله تعالى: {وَادَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ}.

فكل أمة بعث فيها رسول من عهد نوح إلى عهد نبينا محمد صلى الله عليه وسلم.

س : مـا الحكمة من إرسال الرسل ؟

ج : مـا يـأتي :

1- إقامة الحجة: قال تعالى: {رُسُلاً مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ}.

2- الرحمة: لقوله تعالى: {وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ}.

3- بيان الطريق الموصل إلى الله تعالى، لأن الإنسان لا يعرف ما يجب لله على وجه التفصيل إلا عن طريق

الرسل.

س : من هو الرسول ؟

ج : من أُوحي إليه بشرعٍ، وأُمر بتبليغه.

س : مـا معنى اعبدوا الله ؟

ج : أفردوه بالعبادة.

س : مـا معنى اجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ ؟

ج : ابتعدوا عنه بأن تكونوا في جانب، وهو في جانب.

س : مـا هو تعريف الطاغوت ؟

ج : الطاغوت : مشتقٌّ من الطغيان، وهو مجاوزة الحد، فكل ما عُبد من دون الله وهو راض بالعبادة فهو طاغوت.

س : مـا المعنى الإجمالي للآية ؟

ج : أن الله سبحانه يخبر أنه أرسل في كل طائفة وقرن من الناس رسولاً، يدعوهم إلى عبادة الله وحده، وترك عبادة ما سواه، فلم يزل يُرسل الرسل إلى الناس بذلك منذ حدث الشرك في بني آدم في عهد نوح إلى أن ختمهم بمحمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

س : مـا مناسبة الآية للباب ؟

ج : أن الدعوة إلى التوحيد والنهيَ عن الشرك هي مهمة جميع الرسل وأتباعهم.

س : ما يُستفاد من الآية ؟

ج : مـا يـأتي :

1- أن الحكمة من إرسال الرسل هي الدعوة إلى التوحيد والنهي عن الشرك

2- أن دين الأنبياء واحد، وهو إخلاص العبادة لله وترك الشرك وإن اختلفت شرائعهم .

3- أن الرسالة عمّت كل الأمم، وقامت الحجة على كل العباد.

4- عظم شأن التوحيد، وأنه واجبٌ على جميع الأمم.

5- في الآية ما في (لا إله إلا الله) من النفي والإثبات، فدلت على أنه لا يستقيم التوحيد إلا بهما جميعاً، وأن النفي المحض ليس بتوحيد، والإثبات المحض ليس بتوحيد.

وقوله: {وَقَضَى رَبُّكَ أَلاَّ تَعْبُدُواْ إِلاَّ إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا} [الإسراء: 23] الآية

س : مـا معنى قضى ؟

ج : أمر ووصّى, والمراد بالقضاء هنا القضاء الشرعيّ الدينيّ، لا القضاء القدريّ الكونيّ.

س : مـا أقسام قضاء الله عز وجل ؟

ج : ينقسم إلى قسمين:

1- قضاء شرعي.

2- قضاء كوني.

فالقضاء الشرعي: يجوز وقوعه من المقضي عليه وعدمه، ولا يكون إلا فيما يحبه الله. مثال ذلك: هذه الآية: {وَقَضَى رَبُّكَ أَلاَّ تَعْبُدُوا إِلاَّ إِيَّاهُ} فتكون قضى بمعنى: شرع، أو بمعنى: وصى، وما أشبههما.

والقضاء الكوني: لا بد من وقوعه، ويكون فيما أحبه الله، وفيما لا يحبه.

مثال ذلك: قوله تعالى: {وَقَضَيْنَا إِلَى بَنِي إِسْرائيلَ فِي الْكِتَابِ لَتُفْسِدُنَّ فِي الأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوّاً كَبِيراً} فالقضاء هنا كوني، لأن الله لا يشرع الفساد في الأرض، ولا يحبه.

س : مـا معنى الرب ؟

ج : الرب هو المالك المتصرف، الذي ربى جميع العالمين بنعمته.

س : مـا معنى ألا تعبدوا إلا إياه ؟

ج : أي أن تعبدوه ولا تعبدوا غيره.

س : مـا أقسام العبودية ؟

ج : تنقسم العبودية إلى ثلاثة أقسام :

1- عامة: وهي عبودية الربوبية، وهي لكل الخلق، قالت تعالى: {إِنْ كُلُّ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ إِلاَّ آتِي الرَّحْمَنِ عَبْداً} ويدخل في ذلك الكفار.

2- عبودية خاصة: وهي عبودية الطاعة العامة، قال تعالى: {وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْناً} وهذه تعم كل من تعبد لله بشرعه.

3- خاصة الخاصة: وهي عبودية الرسل عليهم الصلاة والسلام، قال تعالى عن نوح: {إِنَّهُ كَانَ عَبْداً شَكُوراً} وقال عن محمد: {وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا}.

وقال في آخرين من الرسل: {وَاذْكُرْ عِبَادَنَا إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ أُولِي الأَيْدِي وَالأَبْصَارِ}.

فهذه العبودية المضافة إلى الرسل خاصة الخاصة، لأنه لا يباري أحد هؤلاء الرسل في العبودية.

س : مـا معنى وبالوالدين إحساناً ؟

ج : أي وقضى أن تحسنوا بالوالدين إحساناً، كما قضى أن تعبدوه، ولا تعبدوا غيره.

س : مـا المعنى الإجمالي للآية: ؟

ج : الإخبار أن الله سبحانه وتعالى أمر ووصّى على ألسُن رسله أن يُعبد وحده دون ما سواه، وأن يحسن الولد إلى والديه إحساناً بالقول والفعل، ولا يسيء إليهما؛ لأنهما اللذان قاما بتربيته في حال صِغره وضعفه، حتى قوِي واشتد.

س : مـا مناسبة الآية للباب ؟

ج : أن التوحيد هو آكد الحقوق وأوجب الواجبات؛ لأن الله بدأ به في الآية، ولا يبتدأ إلا بالأهم فالأهم.

س : ما يستفاد من الآية ؟

1- أن التوحيد هو أول ما أمر الله به من الواجبات، وهو أول الحقوق الواجبة على العبد.

2- ما في كلمة (لا إله إلا الله) من النفي والإثبات، ففيها دليلٌ على أن التوحيد لا يقوم إلا على النفي والإثبات: (نفي العبادة عما سوى الله وإثباتها لله) ، كما سبق.

3- عظمة حق الوالدين حيث عطف حقهما على حقه، وجاء في المرتبة الثانية.

4- وجوب الإحسان إلى الوالدين بجميع أنواع الإحسان، لأنه لم يخص نوعاً دون نوع.

5- تحريم عقوق الوالدين.

وقوله: {وَاعْبُدُواْ اللهَ وَلاَ تُشْرِكُواْ بِهِ شَيْئًا ... } الآية [النساء: 36].

س : مـا معنى لا تشركوا ؟

ج : اتركوا الشرك، وهو تسوية غير الله بالله فيما هو من خصائص الله.

س : مـا هو المعنى الإجمالي للآية ؟

ج : يأمر الله سبحانه عباده بعبادته وحده لا شريك له، وينهاهم عن الشرك، ولم يخصّ نوعاً من أنواع العبادة، لا دعاءً ولا صلاةً ولا غيرهما، ليعمّ الأمر جميع أنواع العبادة، ولم يخص نوعاً من أنواع الشرك، ليعم النهي جميع أنواع الشرك.

س : مـا مناسبة الآية للباب ؟

ج : أنها ابتدأت الأمر بالتوحيد والنهي عن الشرك، ففيها تفسير التوحيد بأنه عبادة الله وحده وترك الشرك.

س : ما يستفاد من الآية ؟

1- وجوب إفراد الله بالعبادة، لأن الله أمر بذلك أولاً، فهو آكد الواجبات.

2- تحريم الشرك، لأن الله نهى عنه، فهو أشد المحرمات.

3- أن اجتناب الشرك شرطٌ في صحة العبادة، لأن الله قرن الأمر بالعبادة بالنهي عن الشرك.

4- أن الشرك حرامٌ قليله وكثيره، كبيره وصغيره، لأن كلمة شيئاً نكرةٌ في سياق النهي، فتعم كل ذلك

5- أنه لا يجوز أن يشرك مع الله أحدٌ في عبادته، لا ملكٌ ولا نبيٌ ولا صالحٌ من الأولياء ولا صنمٌ؛ لأن كلمة (شيئاً) عامة.

وقوله: {قُلْ تَعَالَوْاْ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلاَّ تُشْرِكُواْ بِهِ شَيْئًا} الآيات [الأنعام: 151، 153

س : من المخاطب في هذه الآية ؟

ج : الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم أمره الله أن يقول للناس: {تعالوا} أي: أقبلوا، وهلموا، وأصله من العلو كأن المنادي يناديك أن تعلو إلى مكانه، فيقول: تعال، أي: ارتفع إلي.

س : ما معنى تعالوا ؟

ج : هلمّوا وأقبلوا.

س : ما معنى أتل ؟

ج : أقصص عليكم وأُخبركم.

س : هو تعريف الحرام ؟

ج : الحرام الممنوع منه، وهو ما يُعاقب فاعله ويثاب تاركه.

س : لماذا قال: {ربكم} ولم يقل: ما حرم الله ؟

ج : لأن الرب هنا أنسب، حيث إن الرب له مطلق التصرف في المربوب، والحكم عليه بما تقتضيه حكمته.

س : ما يستفاد من الآيات ؟

ج : ما يأتي :

1- أن الشرك أعظم المحرمات، وأن التوحيد أوجب الواجبات.

2- عظم حق الوالدين.

3- تحريم قتل النفس بغير حق، لا سيما إذا كان المقتول من ذوي القربى.

4- تحريم أكل مال اليتيم، ومشروعية العمل على إصلاحه.

5- وجوب العدل في الأقوال والأفعال على القريب والبعيد.

6- وجوب الوفاء بالعهد.

7- وجوب اتباع دين الإسلام وترك ما عداه.

8- أن التحليل والتحريم حقٌ لله.

قال ابن مسعود رضي الله عنه : من أراد أن ينظر إلى وصية محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ التي عليها خاتَمُه فليقرأ

قوله تعالى: {قُلْ تَعَالَوْاْ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ} إلى قوله تعالى: {وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ} الآية [الأنعام: 151– 153].

س : من هو ابن مسعود ؟

ج : هو عبد الله بن مسعود بن غافل بن حبيب الهذَلي، صحابي جليل من السابقين الأولين، من كبار علماء الصحابة، لازم النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وتوفي سنة 32هـ.

س : مـا هي الوصية ؟

ج : هي الأمر المؤكد المقرر.

س : هل وصية محمد صلى الله عليه وسلم ،وصية مكتوبة مختوما عليها ؟

ج : لا ليست كذلك لأن النبي صلى الله عليه وسلم لم يوص بشيء، ويدل لذلك: أن أبا جحيفة سأل علي بن أبي طالب: هل عهد إليكم النبي صلى الله عليه وسلم بشيء؟ فقال: لا، والذي فلق الحبة، وبرأ النسمة؛ إلا فهما يؤتيه الله تعالى رجلا في القرآن، وما في هذه الصحيفة.

قيل: وما في هذه الصحيفة؟ قال: العقل، وفكاك الأسير، وأن لا يقتل مسلم بكافر.

فلا يظن أن النبي صلى الله عليه وسلم أوصى بهذه الآيات وصية خاصة مكتوبة، لكن ابن مسعودرضي الله عنهيرى أن هذه الآيات قد شملت الدين كله، فكأنها الوصية التي ختم عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبقاها لأمته. وهي آيات عظيمة، إذا تدبرها الإنسان وعمل بها، حصلت له الأوصاف الثلاثة الكاملة: العقل، والتذكر، والتقوى.

س : مـا معنى الخاتم ؟

ج : الخاتم بفتح التاء وكسرها: حلقةٌ ذات فص من غيرها، وختمتُ على الكتاب بمعنى طبَعت.

س : مـا المعنى الإجمالي للأثر ؟

ج : يذكر ابن مسعود رضي الله عنه : أن الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– لو وصى لم يوص إلا بما وصى به الله تعالى، فإن الله قد وصى بما في هذه الآيات، لأنه سبحانه قد ختم كل آية منها بقوله: {ذَلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ} ، وإنما قال ابن مسعود ذلك لمَّا قال ابن عباس رضي الله عنهما: إن الرزية كل الرزية ما حال بيننا وبين أن يكتب لنا رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وصيته، فذكّرهم ابن مسعود رضي الله عنه أن عندهم من القرآن ما يكفيهم، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لو وصّى لم يوص إلا بما في كتاب الله. –فإن النبي

س : مـا مناسبة هذا الأثر للباب ؟

ج : بيان أن ما ذُكر في هذه الآيات كما هو وصية الله فهو وصية رسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، لأن الرسول

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يوصي بما أوصى الله به.

س : ما يستفاد من قول ابن مسعود ؟

ج : مـا يـأتي :

1- أهمية هذه الوصايا العشر.

2- أن الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يوصي بما أوصى به الله، فكل وصية لله فهي وصية لرسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

3- عمق علم الصحابة، ودقة فهمهم لكتاب الله.

وعن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال: كنت رديف النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على حمار فقال لي: "يا معاذ أتدري ما حق الله على العباد، وما حق العباد على الله؟ قلت: الله ورسوله أعلم. قال: حق الله على العباد أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئاً، وحق العباد على الله أن لا يعذب من لا يشرك به شيئاً" قلت: يا رسول الله أفلا أبشر الناس؟ قال: "لا تبشرهم فيتكلوا" أخرجاه في الصحيحين.

س : من هو معاذ ؟

ج : هو معاذ بن جبل بن عمرو بن أوس بن كعب بن عمرو الخزرجي الأنصاري صحابيٌّ جليل مشهور من أعيان الصحابة، وكان متبحراً في العلم والأحكام والقرآن، شهد غزوة بدر وما بعدها واستخلفه النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على أهل مكة يوم الفتح يعلمهم دينهم ثم بعثه إلى اليمن قاضياً ومعلماً مات بالشام سنة 18هـ وله 38 عاماً.

س : مـا معنى الرديف ؟

ج : هو الذي تحمله خلفك على ظهر الدابة.

س : مـا معنى أتدري؟

ج : هل تعرف.

س : لماذا ألقاه على معاذ بصيغة السؤال ؟

ج : ليكون أشد حضورا لقلبه حتى يفهم ما يقوله صلى الله عليه وسلم.

س : مـا هو حق الله ؟

ج : ما يستحقه ويجعله متحتماً على العباد.

س : مـا هو حق العباد على الله ؟

ج : ما كتبه على نفسه تفضلاً منه وإحساناً.

س : من لم يعبد الله ولم يشرك به شيئا؛ هل يعذب؟

ج : قال الإمام العثيمين : نعم، يعذب، لأن الكلام فيه حذف، وتقديره: من يعبده ولا يشرك به شيئا، ويدل لهذا أمران.

الأول: قوله: حق العباد ، ومن كان وصفه العبودية؛ فلا بد أن يكون عابدا.

الثاني: أن هذا في مقابل قوله فيما تقدم: أن يعبدوه، ولا يشركوا به شيئا"؛ فعلم أن المراد بقوله: لا يشركوا به شيئا : أي: في العبادة.

س : مـا معنى أبشر الناس ؟

ج : أخبرهم بذلك ليُسروا به.

س : مـا معنى يتّكلوا ؟

ج : يعتمدوا على ذلك فيتركوا التنافس في الأعمال الصالحة.

س : مـا المعنى الإجمالي للحديث ؟

ج : أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أرد أن يبين وجوب التوحيد على العباد وفضله، فألقى ذلك بصيغة الاستفهام، ليكون أوقع في النفس وأبلغ في فهم المتعلم، فلما بيّن لمعاذ فضل التوحيد، استأذنه معاذ أن يخبر بذلك الناس ليستبشروا، فمنعه النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من ذلك خوفاً من أن يعتمد الناس على ذلك فيقلِّلوا من الأعمال الصالحة.

س : مـا مناسبة الحديث للباب ؟

ج : أن فيه تفسير التوحيد بأنه عبادة الله وحده لا شريك له.

س : ما يستفاد من الحديث ؟

ج : مـا يـأتي :

1- تواضع النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حيث ركب الحمار وأردف عليه. خلافَ ما عليه أهل الكبر

2- جواز الإرداف على الدابة إذا كانت تطيق ذلك.

3- التعليم بطريقة السؤال والجواب.

4- أن من سُئل عما لا يعلم فينبغي له أن يقول: الله أعلم.

5- معرفة حق الله على العباد وهو أن يعبدوه وحده لا شريك له.

6- أن من لم يتجنب الشرك لم يكن آتياً بعبادة الله حقيقة ولو عبده في الصورة.

7- فضل التوحيد وفضل من تمسك به

8- تفسير التوحيد وأنه عبادة الله وحده وترك الشرك.

9- استحباب بشارة المسلم بما يسره.

10- جواز كتمان العلم للمصلحة.

11- تأدب المتعلم مع معلمه.